

كتاب: مقدمة في العلاج الجمعي "من ذكاء الجماد إلى رحاب المطلق" الفصل الثاني عشر: "علاقة هذا العلاج الجمعي بالفلسفة،

و(الديالكتيك)" (1)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2021/03/07

السنة الرابعة عشرة - العدد: 4936

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

مقدمة:

عبر أكثر من أربعين عاما من ممارستي للعلاج الجمعي في قصر العينى ساعدنى المستوى التعليمى والتقافى لكل هذه المجموعات أن أتأكد من أن الفلسفة ليست كما يتصور المتفقون والأكاديميون، بل هى معايشة كل إنسان من حيث هو إنسان لما هو وعى ووعى بالوعى، فهى ليست نشاطا عقليا كما شاع عن العقل، وقد ساعدتني الألعاب النفسية بوجه خاص على كشف حركية دياكتيك للنمو من خلال التوليف الحيوى للمائل أمامى فى ممارستى محركا ومشاركا، كما تتضح لى أكثر فأكثر أن مفهوم "فعل الفلسفة" يتجلى من خلال التركيز على قاعدة "هنا والآن".

...عرفت الفلسفة من ممارسة مهنتى ووصلت إلى بعض مسائلها موجهة، ومحاولة حل من خلال تحدى مرضى وهم يقذفون فى وجهى بمشاكل الوجود والسيرورة وأنا أجرو أن أسمى هذا أو تلك بالعرض الشائع "أفكار شبه فلسفية Pseudo-philosophical thoughts" وهو ما يسارع صغار المتدربين والزملاء إلى لصفه على المريض بمجرد أن يفهم ما يقوله المريض، (وكذا، ربما زملائى كبار التقليديون)، وأسأل للزميل الأصغر عادة: وهل أنت تعرف لفلسفة حتى تعرف ما يشبهها؟! ولا يشبهها

إشكالية تعريف الفلسفة :

- هل هى الحكمة؟ أم حب للحكمة؟
 - وهل هى دلالة للمعارف؟ أم أصل للمعارف؟
 - وهل هى علم الوجود؟ أم علم الموجودات أم ليست علما أصلا؟
 - وهل هى دلالة منظومات القيم؟ أم دلالة للنسق الفكرى المتكامل؟ أم هى لنشاط العقلى ذاته؟
 - وهل هى معرفة الواقع؟ أم ما هو ليس واقع لكنه واقع؟
- الفلسفة غير التنفس، وعالم الفلسفة، غير لارس الفلسفة، غير الفيلسوف، كما أن كل ما يمكن أن نتعلمه ونعلمه هو علم الفلسفة، وأحيانا للتنفس وليست الفلسفة، وبالتالي فالذى قد يصعب علينا هو التنفس أما الذى تخيفنا معايشته فهو الفلسفة.

إن قول أحد اللوغيين المنطقيين مؤخرا " .. إن الجمع بين العلم والفلسفة أصبح ضرورة غنى عنها، وأن لفصل الذى تم بينهما فى غضون القرن للتاسع عشر كان له أسوأ لنتائج على العلم والفلسفة على السواء" هو قول يصدق أكثر جلا على علمنا هذا. (لطب النفسى إله سُمى "علما" تجاوزا)، وهو يصدق أكثر على هذه الخبرة التى تسمى للعلاج الجمعى.

من خلال هذه الممارسة اكتشفت أن الفلسفة هى ممارسة أساسا، ثم يأتى لتنتظير بعد ذلك (أو يأتى)، تماما كما ذكرت بالنسبة للمنهج الذى أرى أنه الأقرب إلى ما نمارسه، وبغير احتمال شجاعة هذه

أن الفلسفة ليست كما يتصور المثقفون والأكاديميون، بل هى معايشة كل إنسان من حيث هو إنسان لما هو وعى ووعى بالوعى، فهى ليست نشاطا عقليا كما شاع عن العقل

ساعدتني الألعاب النفسية بوجه خاص على كشف حركية دياكتيك النمو من خلال التوليف الحيوى المائل أمامى فى ممارستى محركا ومشاركا، كما أتضح لى أكثر فأكثر أن مفهوم "فعل الفلسفة" يتجلى من خلال التركيز على قاعدة "هنا والآن"

عرفت الفلسفة من ممارسة مهنتى ووصلت إلى بعض مسائلها موجهة، ومحاولة حل من خلال تحدى مرضى وهم يقذفون فى وجهى بمشاكل الوجود والسيرورة وأنا لا أجرو أن أسمى هذا أو ذلك بالعرض الشائع "أفكار شبه فلسفية" Pseudo-philosophical thoughts

إشكالية تعريف الفلسفة:

- هل هى الحكمة؟ أم حب الحكمة؟
- وهل هى دراسة المعارف؟ أم أصل المعارف؟
- وهل هى علم الوجود؟ أم علم الموجودات أم ليست علما أصلا؟

الممارسة فإننا إنما نقوم بعملية عكسية غالبا: هي وأد كل محاولة تجديد مقتحم، تنطبق عليه شروط البضاعة المعروضة في السوق.

إن الفلسفة برغم ما شاع بين الناس وكيف أنها تبدو من أكثر المجالات حاجة إلى التخصص والموسوعية، إلا أن من المعروف أن أسئلة الأطفال هي أسئلة للفلاسفة، دع جانبنا لإجابات لأن، ولكل واحد منا موقف فلسفي تحت جلده وهو لا يدري غالبا.

يوجد بين الأطباء النفسيين ظاهرة تسمى "رهاب الفلسفة"، إذ قد تعترتهم أعراض حساسية أو أتونوميه بمجرد سماع الكلمة مع أنه توجد شعبة في الجمعية البريطانية الملكية للطب النفسي سمها "الفلسفة - علم النفس - الطب النفسي P.P.P Psychiatry – Psychology Philosophy & "وقد كنت عضوا فيها إلا أنني لم أشترك في أي نشاط لأسباب خاصة، حتى استغنى عنى غالبا.

اجتهاد:

يا ترى هل أستطيع أن أضع معالم لما أعنيه - هنا على الأقل - بهذا اللفظ "الفلسفة"، دون طمع أن يصل إلى مستوى "التعريف" فأقول:

"الفلسفة هي المحاولة المستمرة المتجددة، للحياة المغامرة في اتجاه معين، في لحظة ما ... مع قبول مبدأ التغيير دائما مع استمرار المحاولة.. والتعلم والنقد لإعادة التشكيل، وقد يصحب ذلك درجة من التنظير المعرفي أو لا يصحبها، لكن هذه المحاولة تتصف تقريبا دائما بالعمل الدائب في منطقة حركية المتناقضات في تشبيط جدلي واعد بولاف متصاعد، أي نمو مضطرب"

ثم إنني حين أعدت النظر في هذا التوصيف الشامل خجلت لأنني وجدت أنني لا أصف الفلسفة، بل الحياة النابضة للإنسان النامي حالة كونه متناه يسعى إلى اللا متناه، مستعملا في ذلك مكاسبه التطورية والبيولوجية، وخاصة للرمز والتجريد والإبداع، في رحلة وجودية صيرورية معرفية مغامرة. ما هذا؟ هل أنا أشرف نفسي أم أزيد الأمور تعقيلًا؟ وما علاقة ذلك بالطب النفسي، وما علاقته بالبيولوجي؟ وما علاقته بالعلاج الجمعي؟

الفلسفة ليست نقيض البيولوجي

أعيش على أمل أن يقلسف الأطباء وهم يخطون خطوتهم المتواضعة في الحياة اليومية العملية وهم يمارسون مهنتهم بمعارفهم العضوية الثرية من كيمياء وطبيعة وفسولوجي . .، فيتعرفون على علم الحياة Bio- Logy في عمق وحدته الأولية، كما أمل في نفس الوقت أن يخوض الفلاسفة دنيا البيولوجي في غير تردد، وقد فعلها منهم الكثيرون وأثروا معارفنا الطبيعية والرياضية بلا حدود، هل في هذا للأمل بعض ما كان يعنيه أبو الأطباء "أبو قلاط" حين قال: "إن ما يصلح للطب يصلح للفلسفة، وما يصلح للفلسفة يصلح للطبيب، والطبيب الفيلسوف هو في منزلة الآلهة؟"

• أغلب الفلاسفة عبر القرون كانوا يحملون بمعمل للأفكار: يختبرون فيه أفكارهم ويتحققون منها ثم يؤيدون غيرها ما أمكن، كما أن بعضهم قد وجد طموحه حتى تصور أن هذا المعمل هو الحياة العامة - والسياسية بالذات، مثل حلم أفلاطون بالملك الفيلسوف (ومحاولته الفاشلة!!) وكذلك محاولات الماركسيين بعد ذلك ... وأعتقد أن هذا الحلم ظل أيضا يلود الفلاسفة من ببيكون إلى الموضوعين للمنطقيين، إلى غيرهم، ولعل في هذا وحده دليل على إلحاح هذا الخيال، فهل يا ترى ما زال هذا الحلم قابلا للتطبيق، وكيف؟

يبدو أن الفلسفة باعتبارها ممارسة نوعية لحياة بشرية نشطة ورائدة، إنما تتجلى في رحلات أفراد ومجموعات صغيرة، برغم أنها تغرى بأنها أسلوب قابل للتعميم من خلال مناهج وبلامج جماعية مختلفة، لكن التاريخ والواقع يحذران من هذا التعميم، كذلك فإن محاولات التطبيق فإلحباط ينبهان أن ثم خطأ في هذا الحلم المضاعط، فتظل الفلسفة هي البرنامج الحيوي الأقرب لكشف الطبيعة البشرية في حدود الأفراد

الفلسفة خير التفلسف، وعالم الفلسفة، خير دارس الفلسفة، خير الفيلسوف، كما أن كل ما يمكن أن نتعلمه ونعلمه هو علم الفلسفة، وأحياننا التفلسف وليس التفلسف، وبالتالي فالذي قد يصعب علينا هو التفلسف أما الذي تخيفنا معايشته فهو الفلسفة

إن الجمع بين العلم والفلسفة أصبح ضرورة لا تخفى عنهما، وأن الفصل الذي تم بينهما في غضون القرن التاسع عشر كان له أسوأ النتائج على العلم والفلسفة على السواء" هو قول يصدق أكثر جدا على علمنا هذا. (الطب النفسي إذا سُمي "علما" تجاوزاً)، وهو يصدق أكثر على هذه الخبرة التي تسمى العلاج الجمعي .

من خلال هذه الممارسة اكتشفت أن الفلسفة هي ممارسة أساساً، ثم يأتي التنظير بعد ذلك (أو لا يأتي)، تماما كما ذكره بالنسبة للمنهج الذي أرى أنه الأقرب إلى ما نمارسه

يوجد بين الأطباء النفسيين ظاهرة تسمى "رهاب الفلسفة"، إذ قد تعترتهم أعراض حساسية أو أتونوميه بمجرد سماع الكلمة مع أنه توجد شعبة في الجمعية البريطانية الملكية للطب النفسي اسمها "الفلسفة - علم النفس - الطب النفسي

"الفلسفة هي المحاولة المستمرة المتجددة، للحياة المغامرة في اتجاه معين، في لحظة ما ... مع قبول مبدأ التغيير دائما مع استمرار المحاولة.. والتعلم والنقد لإعادة التشكيل، وقد يصحب ذلك درجة من التنظير المعرفي أو لا يصحبها

وجدت أنني لا أصف الفلسفة، بل الحياة النابضة للإنسان النامي حالة

والمجموعات الصغيرة، مع إتاحة الفرصة لاستلهاام معطياتها ببلمج أخرى لأغراض أخرى، ومن بين هذه
المجالات المحدودة، اكتشف أن العلاج الجمعى - كما نمارسه - يمكن أن يكون إحطهاا.

العلاج الجمعى والفلسفة

فى السنوت الأولى لممارستى هط العلاج الجمعى فى "قصر لعينى" خيل إلى أحيانا أنى فى معمل
لاختبار الأفكار كما كان بعضهم يصور الفلسفة، ثم تطور تصورى إلى أنه ليس معملاً اختباراً للأفكار
فحسب بل إنه مصنع أيضاً لتوليد أفكار جديدة، ثم إنه أيضاً مجال عملى لاختبار فاعلية هذه الأفكار
فى التغيير، لكننى مؤخلاً وبعد دخولى إلى مرحلة التعرف على محيط الإدراك، وقنوت المعرفة الأخرى،
تجاوزت التركيز على ما هو "أفكار" إلى النظر فى حركية الوعى، ومعرفة الإدراك، وتجليات الإبداع فى
واقع الممارسة أساسا، ولم تغب عنى معالم "فعل الفلسفة" فى كل ذلك أبطاً.

العلاج الجمعى ليس حقل تجارب لأفكار أو مسيرة مجموعة من البشر

القضية التى أتناولها من خلال ممارساتى هط العلاج هى قضية كيانية تتعلق بالوجود وجوهره، حتى
أننى لتجهت فى مرحلة من تفكيرى) حيرة طبيب نفسى (إلى تصنيف لأملض للنفسية إلى أملض كيانية
(وهى مركز اهتمامى) وأملض تكيفيه (وهى على هامش انتباهى...))، ولعلاقة بين النوعين وثيقة مما
مجال لتفصيله هنا حا.

قضية الوجود قبل الماهية تعتبر تأكيداً للاختيار، وأن الإنسان صانع نفسه، ولكنى قد أشرت سابقاً إلى
أنى أضع الماهية الكامنة بدلاً من الإرث الجينى، ولتاريخ الحيوى، أساساً لما يحدث فيما بعد، وكان
الوجود يحور الماهية بشكل محدود حسب فرص تفاعله فى المكان والزمان معاً، ولكنه يصنع الماهية
ابتداءً، ومن هنا جاء تركيزى على أن قضية الوجود البشرى ليست هى "تكون أو لا تكون To be or
not to be ولكنها مسار للصيرورة" تكون أو تصير To be or to become، "علمنا بأن للصيرورة
تحل محل ضرورة تحقيق الوجود أو، ولكنها تنطلق منه.

ثم ماذا بعد :

ثم تساؤلات بد أن تطرأ لأن قبل للدخول فى صلب التخصص.

أين العلاج النفسى الجمعى من كل هط؟.

أأ يشوه هط للتنظير مسيرة العلاج النفسى وبخرجه عن هدفه، أو يفرض عليه ما ليس له؟

وللرد على ذلك أجتهد فأقول:

1- إن هذه المشاكل الكيانية والصيرورية موجوده عند الشخص العادى، وهى ليست مشكلة خاصة
بالمختصين فى الفلسفة، إنها طبيعة النمو، وحركية الوعى البشرى أكثر وأقل.

2- إن المرض النفسى هو المظهر الطبئفسى لإعلان الفشل (المؤقت أو المضطرد) فى هذه
المواجهة العنيفة غير المحسوبة، مع هذه المشاكل الحية التى يعيشها الإنسان بغض النظر عن مدى
وعيه بها، أو قدرته على تسميتها، أو نجاحه فى التعبير عنها.

3- إنه بحسب درجة الوعى ونوع اللغة المستعملة تكون الممارسة التى هى هى الفلسفة دون أن
تسمى كذلك (وهط أفضل)

4- إن وعى المعالج الجزئى والمتجدد بهط الموقف دون حاجة إلى كلام، هو السبيل لإثارة وعى
مقابل من جهة المرضى مما يساعد فى تحديد موقف مسئول تجاه ما فرضته استعددت البيولوجية
لأساسية لتتحرك فى المجال المتأ، فى حدود فرص التفاعل مع المحيط بما يشمل الآخرين. (والمجال
المتأ هنا هو المجموعة العلاجية)

كونه متناه يسعنى إلى الامتنان،
مستحلاً فى ذلك مكاسبه
التطورية والبيولوجية، وخاصة الرمز
والتجريد والإبداع، فى رحلة
وجودية صيرورية معرفية مغامرة

أغلب الفلاسفة عبر القرون
كانوا يحملون بمعمل الأفكار:
يختبرون فيه أفكارهم
ويتحققون منها ثم يؤدنون
نبرها ما أمكن، كما أن
بعضهم قد زاد طموحه حتى
تصور أن هذا المعمل هو
الحياة العامة - والسياسة
بالذات، مثل حلم أفلاطون
بالمملك الفيلسوف (ومحاولاته
الفاشلة!!) وكذلك محاولات
الماركسيين بعد ذلك

يبدو أن الفلسفة باعتبارها
ممارسة نوعية لحياة بشرية نشطة
ورائدة، إنما تتجلى فى رحلات
أفراد ومجموعات صغيرة

قضية الوجود قبل الماهية
تعتبر تأكيداً للاختيار، وأن
الإنسان صانع نفسه

أنى أضع الماهية الكامنة بدءاً
من الإرث الجينى، والتاريخ
الحيوى، أساساً لما يحدث فيما
بعد، وكان الوجود يحور
الماهية بشكل محدود حسب
فرص تفاعله فى المكان
والزمان معاً، ولكنه لا يصنع
الماهية ابتداءً، ومن هنا جاء
تركيزى على أن قضية الوجود
البشرى ليست هى "تكون أو لا
تكون To be or

ثم تساؤلات لا بد أن تطرح الآن
قبل الدخول فى صلب التخصص.
أين العلاج النفسى الجمعى من
كل هذا؟.

أأ يشوه هذا التنظير مسيرة
العلاج النفسى وبخرجه عن هدفه،
أو يفرض عليه ما ليس له؟

إن المرض النفسى هو المظهر
الطبئفسى لإعلان الفشل
(المؤقت أو المضطرد) فى

5- لاحظنا أيضا أن مسيرة العلاج النابعة من المشاكل المطروحة وكذلك قواعد العلاج التي مارسناها، وهورناها، وابتدعنا غيرها، تتصل وتتصا مباشرة بمشاكل الفلسفة الحية، التي إله كنا قد نجحنا في الهرب منها فيما يسمى العلم، فإن المرضى جاؤوا يذكرّونا بها من واقع مأسى وجودهم، ومدى تعريضهم، وليس أماننا إلا أن نواجه مسؤوليتنا تجاهها (دون تسميتها فلسفة، هذا أفضل)

6- إن الأعراف التي هي اللدفع الأول لحضور المريض للاستشارة، تزول، ليس بالضرورة بالتركيز على إلتها، وإنما كنتيجة "لاضطراد النمو" من واقع "تنشيط جدله" الذي هو "فعل الفلسفة" أو من واقع تراجع المحاولة.

7- ليس مطلوباً من أى معالج (فى العلاج الجمعى خاصة) أن يتبع فلسفة بللتها كما زعم "بيرلز" أنه يتبع الفلسفة الوجودية فى علاجه الجشتالتى للجمعى، مما يطابق الواقع تماماً كما أشرنا سابقاً، ولكن الذى يحدث هو أن المعالج يكتشف تلقائياً بعد تدريب وإشرف ووقت كاف، أنه يمارس فلسفته الخاصة دون تسميتها، وأنه مسؤول عن ذلك، وعن تغييرها كلما سنحت الفرصة من واقع تفاعله مع المرضى ونفسه ونتائجهم، ثم يكتشف أن حركية النمو ونوعية النتائج هي التي تحدد المسار وليس محتويات المعتقد الذى يتصور أنه يعتقده.

.....

ونعرض للأسبوع القادم: بعض أوجه الشبه .. وعلاقة هذا العلاج الجمعى بالديالكتيك

- [1] يحيى الرخاوى (مقدمة فى العلاج الجمعى (1) من ذكاء الجماد إلى رحاب المطلق) (الطبعة الأولى 1978)، والطبعة الثانية 2019) منشورات جمعية الطب النفسى التطورى، والكتاب متاح فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفى مركز الرخاوى: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا بموقع المؤلف www.rakhawy.net وهذا هو الرابط.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD070321.pdf>

هذه المواجهة العنيفة خير المحسوبة، مع هذه المشاكل الحية التي يعيشها الإنسان بغض النظر عن مدى وعيه بها، أو قدرته على تسميتها، أو نجاحه فى التعبير عنها

لاحظنا أيضا أن مسيرة العلاج النابعة من المشاكل المطروحة وكذلك قواعد العلاج التي مارسناها، وهورناها، وابتدعنا غيرها، تتصل اتصالاً مباشراً بمشاكل الفلسفة الحية، التي إذا كنا قد نجحنا فى الهرب منها فيما يسمى العلم، فإن المرضى جاؤوا يذكرّونا بها من واقع مأسى وجودهم، ومدى تعريضهم، وليس أماننا إلا أن نواجه مسؤوليتنا تجاهها

أن المعالج يكتشف تلقائياً بعد تدريب وإشرف ووقت كاف، أنه يمارس فلسفته الخاصة دون تسميتها، وأنه مسؤول عن ذلك، وعن تغييرها كلما سنحت الفرصة من واقع تفاعله مع المرضى ونفسه ونتائجهم

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقبياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsfound.com>

الكتاب السنوي 2020 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار التاسع)

الشبكة تدخل عامها 21 من التأسيس و 18 على الوبج

21 عاماً من الضج... 18 عاماً من الإنجازات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الوبج: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2021

http://www.arabpsfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3